

الإمام المهدي (عليه السلام)

ومسألة العمل الطويل

اسم الكتاب: الإمام المهدي (عليه السلام) ومسألة العمر الطويل

المؤلف: السيد عبدالرحيم الموسوي

الموضوع: كلام

الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

الطبعة: الأولى

التاريخ: ١٤٢٥ هـ

المطبعة: لبلى

الكمية: ٣٠٠٠

ISBN: 964-8686- -

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمجمع العالمي

[www.ahl-ul-bayt.org](http://www.ahl-ul-bayt.org)

## كلمة المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

إنّ تراث أهل البيت (عليهم السلام) الذي اختزنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعبر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربّي النفوس المستعدة للاغتراف من هذا المعين، وتقدّم للأمة الإسلامية كبار العلماء المحتزين لخُطى أهل البيت (عليهم السلام) الرسالية، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) - منطلقاً من مسؤولياته التي أخذها على عاتقه - للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التي ضبّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خُطى أهل البيت (عليهم السلام) وأتباع مدرستهم الرشيدة التي حرصت في الرد على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام في خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب في كلّ عصر.

إنّ التجارب التي تختزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) في هذا المضمار فريدة في نوعها ؛ لأنها ذات رصيد علمي يحتكم الى العقل والبرهان ويتجنّب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.

وقد حاول المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) ان يقدم لطلاب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنيّة في باب الحوار والسؤال والرد على الشبهات - التي أثّرت في عصور سابقة أو تثار اليوم ولا سيّما بدعم من بعض الدوائر الحاكمة على الإسلام والمسلمين من خلال شبكات الانترنت وغيرها - متجنّبة الإثارات المذمومة وحريصة على استثارة العقول المفكرة والنفوس الطالبة للحق، لتتفتح على الحقائق التي تقدّمها مدرسة أهل البيت الرسالية للعالم أجمع، في عصر يتكامل فيه العقول ويتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد. ولا بدّ أن نشير الى أن هذه المجموعة من البحوث قد أعدت في لجنة خاصة من مجموعة من الأفاضل . ونتقدم بالشكر الجزيل لكل هؤلاء ولأصحاب الفضل والتحقيق لمراجعة كلّ منهم جملة من هذه البحوث وابداء ملاحظاتهم القيّمة عنها.

وكلّنا أمل ورجاء بأن نكون قد قدّمنا ما استطعنا من جهد أداءً لبعض ما علينا تجاه رسالة ربّنا العظيم الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه وكفى بالله شهيداً.

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

المعاونية الثقافية - قم المقدسة

## الإمام المهدي (عليه السلام) ومسألة العمر الطويل

### المقدمة

تواجه عمليات التغيير الكبرى في التاريخ الكثير من الشكوك والاستفهامات التي يثيرها عادة ذوو الأفق الضيق والخصوم والأعداء، ومن هنا فإنّ عمليات التغيير التي قادها الأنبياء (عليهم السلام) غالباً ما يتم تعضيدها بالقوى الغيبية، ومن خلال المعاجز التي تحصل بقدرة الله سبحانه وتعالى، ذلك لأن الأهداف الإلهية المهمة، إذا ما توقف وجودها على المعجزة، فإنّ الله تعالى يوجدها لا محالة<sup>(١)</sup>، وليس الغرض من المعجزة سوى اقناع المشكّكين وذوي الأفق الضيق بصحة نبوءة النبيّ وصحة مشروعه التغييري، ومن أجل المشروع ذاته، أي من أجل هداية الناس وتعبيدهم لله تعالى.

وليست عملية التغيير الكبرى الموعودة التي يقودها الإمام المهدي المنتظر (عج) بمنأى عن استفهامات المستفهمين، أو اشكالات المشكّكين، فبحجم هذه العملية التي ستملأ الأرض عدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، تأتي التساؤلات والشكوك والاستفهامات.

ولعلّ أهم تساؤل يطلقه البعض حول الإمام المهدي يتمحور حول مفهوم الغيبة ومداها الزماني البعيد وإمكانية أن يعمر الإمام هذا العمر الطويل غير المألوف لدى البشر العاديين، وكيف يمكن أن ينجو من قوانين الطبيعة التي تفرض على كل إنسان أن يمرّ بمرحلة الشيخوخة والهرم وهما أعلى مراحل الضعف وأقربها إلى الموت الذي يكون خاتمة طبيعية لكل إنسان يطوي مراحل عمره بشكل طبيعي أيضاً. أما في الحالات غير الطبيعية فقد يموت الإنسان حتى قبل أن يصل إلى مرحلة الشيخوخة أو الكهولة بسبب الأمراض أو بسبب الحوادث والكوارث الطبيعية.

فكيف يمكن تصور طول عمر الإمام المهدي (عليه السلام) الذي تجاوز من يوم غيبته الكبرى وإلى الآن أكثر من أحد عشر قرناً من الزمان، وقد يستمر إلى أمد غير معلوم؛ حتى يأذن الله تعالى له بالظهور، وينجز مهمته التغييرية الكبرى؟

هذا هو الاستفهام الكبير الذي يطرحه الكثيرون بشأن مفهوم المهدوية عند أهل البيت (عليهم السلام)، باعتبار أن أبرز خصيصة يتسم بها هذا المفهوم هو الاعتقاد بأنّ الإمام المهدي قد ولد في منتصف القرن الثالث الهجري وعاش في كنف أبيه الإمام الحسن

(١) محمد الصدر، تاريخ الغيبة الكبرى: ٣٢، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

العسكري سنوات قلائل، ثم غاب عن الأنظار، وسيبقى على قيد الحياة خلف ستار الغيبة الى أن يأذن الله له بالظهور، وذلك عندما يبلغ التاريخ نهايته، وهذه الدراسة تأتي كمحاولة للإجابة على هذا الاستفهام.

### فذلكة البحث

عندما نلقي نظرة تحليلية على الاستفهام المذكور نجده مركباً من نقطتين، يمكننا التفكيك بينهما، وهما: -

- ١ - انكار امكانية أن يعمرّ الإنسان أكثر من الحدّ المألوف، وأن يبلغ ألف سنة أو أكثر.
  - ٢ - انكار أن تكون الخطوة بالعمر الطويل المفتوح مع انفتاح الزمن الى نهايته لشخص اسمه الإمام المهدي ابن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) .
- وحيئنذ، فالجواب على الاستفهام المذكور يتطلب البحث في مرحلتين، مرحلة اثبات امكانية أن يعمرّ الإنسان ألفاً أو ألفي سنة ونحو ذلك، ومرحلة اثبات أن الإمام المهدي (عليه السلام) قد نال هذه الامكانية ، وأنّ الله سبحانه وتعالى قد وهبه هذا النوع من العمر الطويل، فالمرحلة الأولى ثبوتية والثانية اثباتية.

## المرحلة الأولى

### امكانية امتداد عمر الإنسان بنحو خارق للعادة

إن امكانية أن يمتدّ عمر الإنسان امتداداً مفتوحاً مع الزمن الى نهايته التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، بحيث يعمر ألفاً أو ألفي سنة أو نحو ذلك، يتاح لنا اثباتها من جهتين مختلفتين:

أولاً: القرآن الكريم أو الإمكان العقائدي:

فقد تضمّن القرآن الكريم إخبارات عن عدد من الأنبياء والصالحين امتدّ بهم العمر فترة خارقة، بما يثبت أن مسألة العمر الطويل أمرٌ ممكنٌ ينسجم عقائدياً مع القرآن الكريم، ومن هؤلاء:

١ - نبيّ الله نوح (عليه السلام): قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ)<sup>(٢)</sup>.

٢ - نبيّ الله عيسى (عليه السلام): قال تعالى: (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا\* بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)<sup>(٣)</sup>.

وفي الدر المنثور: وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن مجاهد في قوله: (شُبِّهَ لَهُمْ) قال: صلبوا رجلاً غير عيسى، شُبِّهَ بعيسى يحسبونه إياه، ورفع الله عيسى حيّاً<sup>(٤)</sup>.

٣ - أصحاب الكهف: قال تعالى: (إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا\* فَضَرْبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا)<sup>(٥)</sup>، ثم بعثهم الله، فتصوّرُوا أَنَّهُمْ لَبِثُوا يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ...) <sup>(٦)</sup>، في حين أَنَّهُمْ لَبِثُوا ثَلَاثَمِائَةَ عَامٍ وَتِسْعَ سِنِينَ: (ولَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَمِائَةَ سَنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا)<sup>(٧)</sup>.

(٢) العنكبوت: ١٤ .

(٣) النساء: ١٥٧ - ١٥٨ .

(٤) الدر المنثور: ٧٢٨/٢ .

(٥) الكهف: ١٠ - ١١ .

(٦) الكهف: ١٩ .

(٧) الكهف: ٢٥ .

٤ - الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه: قال تعالى: (أَوَكَلَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ<sup>(٨)</sup>، ولعل في بقاء الطعام والشراب مائة عام، ولم يتسنه آية أبلغ من آية إماته هذا العبد الصالح مائة عام أحياء الله بعدها.

قال الكنجي الشافعي المتوفى سنة (٦٥٨ هـ) في كتابه (البيان في أخبار صاحب الزمان) في الباب الخامس والعشرين في الدلالة على كون المهدي (عج) حيًّا باقياً منذ غيبته الى الآن، ما نصّه: (ولا امتناع في بقاءه بدليل بقاء عيسى وإلياس والخضر من أولياء الله تعالى، وبقاء الدجال وإبليس الملحونين أعداء الله تعالى، وهؤلاء قد ثبت بقاؤهم بالكتاب والسنة، وقد اتفقوا عليه، ثم أنكروا جواز بقاء المهدي، وها أنا أبين بقاء كل واحد منهم، فلا يسع بعد هذا العاقل إنكار جواز بقاء المهدي (عليه السلام) ... أما عيسى (عليه السلام) فالدليل على بقاءه قوله تعالى: (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته). ولم يؤمن به أحد منذ نزول هذه الآية الى يومنا هذا، ولا بد أن يكون ذلك في آخر الزمان)<sup>(٩)</sup>.

وأما عن طول عمر نبي الله نوح (عليه السلام) فلا يحتاج الى دليل بعد أن نصّ عليه القرآن الكريم، ولعلّ في بقاء أهل الكهف أكثر من ثلاثة قرون وهم نيام أعجب من طول عمر نوح (عليه السلام)، إذ هم في رقدهم لا يأكلون ولا يشربون، كما أنّ الرجل الذي أماته الله مائة عام ثم أحياه، وطعامه لم يتسنه آية للسائلين عن طول عمر الإمام المهدي (عليه السلام)، وكل ذلك قد ورد في الكتاب العزيز بما لا حاجة الى الإطالة فيه<sup>(١٠)</sup>.

إذاً، ما تضمنه القرآن الكريم من إخبارات بخصوص عدد من الأنبياء وقد امتدّ بهم العمر قروناً طويلة يدل على أنّ مسألة العمر الطويل أمر ممكن، إلا أنه ممّا ينبغي الإشارة إليه هو أن الإمامة عدل القرآن، فلنلا تخلو الأرض من حجة ينبغي وجود الإمام حيّاً الى آخر الدنيا مع وجود القرآن. فوجود الإمام حيّاً هو أمر طبيعي لمن يعرف موارد البقاء.

#### ثانياً: الإمكان العملي والعلمي والمنطقي

وقد أجاد في طرحها السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره) وهي بمجملها إجابة وافية على سؤال مفاده: هل بالإمكان أن يعيش الإنسان قروناً كثيرة، كما هو المفترض في هذا

(٨) البقرة: ٢٥٩.

(٩) البيان في أخبار صاحب الزمان، الكنجي: ٥٢١، الباب ٢٥.

(١٠) دفاع عن الكافي: ١ / ٦٠٠.

القائد المنتظر المعد - أي الإمام المهدي - لتغيير العالم، والذي يبلغ عمره الشريف فعلاً حوالي (١٤) مرة من عمر الإنسان الاعتيادي؟ وماذا يعني الإمكان في هذه القضية؟  
«الإمكان يعني أحد ثلاثة معان: الإمكان العملي، والإمكان العلمي، والإمكان المنطقي أو الفلسفي.

فالإمكان العملي، هو أن يكون الشيء ممكناً على نحو يتاح للناس العاديين تحقيقه، فالسفر عبر المحيط والوصول الى قاع البحر، والصعود الى القمر، أشياء أصبح لها إمكان عملي فعلاً».

وبالنسبة لعمر الإمام المهدي(عج) فلا يوجد علمياً اليوم ما يبرر رفض طول عمره الشريف من الناحية النظرية، وهذا بحث يتصل في الحقيقة بنوعية التفسير الفلسفي لظاهرة الشيخوخة والهرم لدى الإنسان، فهل تعبّر هذه الظاهرة عن قانون طبيعي يفرض على أنسجة جسم الإنسان وخلاياه بعد أن تبلغ قمة نموّها أن تتصلّب بالتدريج وتصبح أقل كفاءة للاستمرار في العمل، الى أن تتعطل في لحظة معينة، حتى لو عزلناها عن تأثير أي عامل خارجي؟ أو أن هذا التصلّب وهذا التناقص في كفاءة الأنسجة والخلايا الجسمية للقيام بأدوارها الفسيولوجية هو نتيجة صراع مع عوامل خارجية كالميكروبات أو التسمم الذي يتسرب الى الجسم من خلال ما يتناوله من غذاء مكثف، أو ما يقوم به من عمل مكثف أو أي عامل آخر؟

وهذا سؤال يطرحه العلم اليوم على نفسه، وهو جادّ في الإجابة عليه، ولا يزال للسؤال أكثر من جواب على الصعيد العلمي، فإذا أخذنا بوجهة النظر العلمية التي تتجه الى تفسير الشيخوخة والضعف الهرمي، بوصفه نتيجة صراع واحتكاك مع مؤثرات خارجية معينة، فهذا يعني أنّ بالإمكان نظرياً، إذا عزلت الأنسجة التي يتكون منها جسم الإنسان عن تلك المؤثرات المعينة أن تمتدّ بها الحياة وتتجاوز ظاهرة الشيخوخة وتتغلب عليها نهائياً. وإذا أخذنا بوجهة النظر الأخرى التي تميل الى افتراض الشيخوخة قانوناً طبيعياً للخلايا والأنسجة الحية نفسها، بمعنى أنّها

تحمل في أحشائها بذرة فنائها المحتوم، مروراً بمرحلة الهرم والشيخوخة وانتهاءً بالموت، فليس معنى هذا عدم افتراض أي مرونة في هذا القانون الطبيعي، بل هو على افتراض وجوده قانون مرن، لأننا نجد في حياتنا الاعتيادية، ولأنّ العلماء يشاهدون في مختبراتهم العلمية أنّ الشيخوخة كظاهرة فسيولوجية لا زمنية، قد تأتي مبكرة وقد

تتأخر ولا تظهر إلا في فترة متأخرة، حتى أن الرجل قد يكون ولا تبدو عليه أعراض الشيخوخة، كما نصّ على ذلك الأطباء، بل إن العلماء استطاعوا عملياً أن يستفيدوا من مرونة ذلك القانون الطبيعي المفترض، فأطالوا عمر بعض الحيوانات مئات المرات بالنسبة الى أعمارها الطبيعية، وذلك بخلق ظروف وعوامل تؤجل فاعلية

قانون الشيخوخة، وبهذا يثبت علمياً أن تأجيل هذا القانون بخلق ظروف وعوامل معينة أمر ممكن علمياً؛ ولئن لم يتاح للعلم أن يمارس فعلاً هذا التأجيل بالنسبة الى كائن معقد كالإنسان فليس ذلك إلا لفارق درجة بين صعوبة هذه الممارسة بالنسبة الى الإنسان وصعوبتها بالنسبة الى أحياء أخرى، وهذا يعني أن العلم من الناحية النظرية وبقدر ما تشير إليه اتجاهاته المتحركة لا يوجد فيه أبداً ما يرفض امكانية إطالة عمر الإنسان، سواء فسرت الشيخوخة بوصفها نتاج صراع واحتكاك مع مؤثرات خارجية، أو نتاج قانون طبيعي للخلية الحية نفسها يسير بها نحو الفناء.

وأما الإمكان العلمي، «فيعني أن هناك أشياء قد لا يكون بالإمكان عملياً تحقيقها فعلاً بوسائل المدنية المعاصرة، ولكن لا يوجد لدى العلم ولا تشير اتجاهاته المتحركة الى ما يبرر رفض إمكان وقوع هذه الأشياء، وفقاً لظروف ووسائل خاصة، فصعود الإنسان - مثلاً - الى كوكب الزهرة لا يوجد في العلم ما يرفض وقوعه، بل إن اتجاهاته القائمة فعلاً تشير الى إمكان ذلك وإن لم يكن الصعود فعلاً ميسوراً، لأنّ الفارق بين الصعود الى الزهرة والصعود الى القمر ليس إلا فارق درجة، ولا يمثل الصعود الى الزهرة إلا مرحلة تذليل الصعاب الإضافية التي تنشأ من كون المسافة أبعد، فالصعود الى الزهرة ممكن علمياً وإن لم يكن ممكناً عملياً فعلاً، وعلى العكس من ذلك الصعود الى قرص الشمس فهو غير ممكن علمياً، بمعنى أن العلم لا أمل له في وقوع ذلك، إذ لا يتصور علمياً وتجريبياً إمكانية صنع ذلك الدرع الواقي من الاحتراق بحرارة الشمس، التي تمثل آتوئاً هائلاً مستعراً بأعلى درجة تخطر على بال إنسان».

«أما الإمكان المنطقي أو الفلسفي، فإنه لا يوجد لدى العقل وفق ما يدركه من قوانين قبلية - أي سابقة على التجربة - ما يبرر رفض الشيء والحكم باستحالته، فوجود ثلاث برتقالات تنقسم بالتساوي وبدون كسر الى نصفين ليس له إمكان منطقي، لأنّ العقل يدرك - قبل أن يمارس أي تجربة - أن الثلاثة عدد فردي وليس زوجاً، فلا يمكن أن تنقسم بالتساوي، لأنّ انقسامها بالتساوي يعني كونها زوجاً فتكون فرداً وزوجاً في وقت واحد، وهذا تناقض، والتناقض مستحيل منطقياً، ولكن دخول الإنسان في النار دون أن يحترق وصعوده للشمس دون أن تحرقه الشمس بحرارتها ليس مستحيلاً من الناحية المنطقية، وإذ لا تناقض في

افتراض أن الحرارة لا تتسرب من الجسم الأكثر حرارة الى الجسم الأقل حرارة، وإنما هو مخالف للتجربة التي أثبتت تسرب الحرارة من الجسم الأكثر حرارة الى الجسم الأقل حرارة الى أن يتساوى الجسيمان في الحرارة. وهكذا نعرف أن الإمكان المنطقي أوسع دائرة من الإمكان العلمي، وهذا أوسع دائرة من الإمكان العملي.

ولا شك في أن امتداد عمر الإنسان آلاف السنين ممكن منطقياً، لأن ذلك ليس مستحيلاً من وجهة نظر عقلية تجريدية، ولا يوجد في افتراض من هذا القبيل أي تناقض، لأن الحياة كمفهوم لا تستبطن الموت السريع ولا نقاش في ذلك. كما لا شك أيضاً ولا نقاش في أن هذا العمر الطويل ليس ممكناً إمكاناً عملياً على نحو الإمكانيات العملية للنزول الى قاع البحر أو الصعود الى القمر، ذلك لأن العلم بوسائله وأدواته الحاضرة فعلاً والمتاحة من خلال التجربة المعاصرة، لا تستطيع أن تمدد عمر الإنسان مئات السنين، ولهذا نجد أن أكثر الناس حرصاً على الحياة وقدرة على تسخير إمكانيات العلم، لا يتاح لها من العمر إلا بقدر ما هو مألوف». ويتلخص من ذلك: أن طول عمر الإنسان وبقاءه قروناً متعددة أمر ممكن منطقياً وممكن علمياً، ولكنه لا يزال غير ممكن عملياً، إلا أن السعي لتحقيق هذا الإمكان ولو عبر طريق طويل.

وعلى هذا الضوء نتناول عمر المهدي (عليه الصلاة والسلام) وما أحيط به من استفهام أو استغراب، ونلاحظ: أنه بعد أن ثبت إمكان هذا العمر الطويل منطقياً وعلمياً، وثبت أن العلم سائر في طريق تحويل الإمكان النظري الى إمكان عملي تدريجاً، لا يبقى للاستغراب محتوى إلا استبعاد أن يسبق المهدي (عليه السلام) العلم نفسه، فيتحول الإمكان النظري الى إمكان عملي في شخصه قبل أن يصل العلم في تطوره الى مستوى القدرة الفعلية على هذا التحويل، فهو نظير من يسبق العلم في اكتشاف دواء ذات السحايا أو دواء السرطان. وإن كانت المسألة هي أنه كيف سبق الإسلام - الذي صمم عمر هذا القائد المنتظر - حركة العلم في مجال هذا التحويل؟

فالجواب: أنه ليس ذلك هو المجال الوحيد الذي سبق فيه الإسلام حركة العلم، أو ليست الشريعة الإسلامية ككل، قد سبقت حركة العلم والتطور الطبيعي للفكر الإنساني قروناً عديدة؟ أو لم تنادِ بشعارات طرحت خطأً للتطبيق لم ينضج الإنسان للتوصل إليها في حركته المستقلة إلا بعد مئات السنين؟ أو لم تأت بتشريعات في غاية الحكمة لم يستطع الإنسان أن يدرك أسرارها ووجه الحكمة فيها إلا قبل برهة وجيزة من الزمن؟ أو لم تكشف رسالة السماء أسراراً من الكون لم تكن تخطر على بال إنسان، ثم جاء العلم ليثبتها ويدعمها؟! فإذا كنا نؤمن بهذا كله، فلماذا نستكثر على مرسل هذه الرسالة - سبحانه وتعالى -

أن يسبق العلم في تصميم عمر المهدي؟ فمن مظاهر السبق التي تحدثنا بها رسالة السماء نفسها، الإسراء بالنبي(صلى الله عليه وآله) ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى وهذا إذا أردنا أن نفهمه في إطار القوانين الطبيعية فهو يعبر عن الاستفادة من القوانين الطبيعية بشكل لم يتح للعلم أن يحققه إلا بعد مئات السنين، فنفس الخبرة الربانية التي أتاحت للرسول(صلى الله عليه وآله) التحرك السريع قبل أن يتاح للعلم تحقيق ذلك، أتاحت لآخر خلفائه المنصوصين العمر المديد قبل أن يتاح للعلم تحقيق ذلك.

«نعم، إنّ هذا العمر المديد الذي منحه الله تعالى للمنقذ المنتظر يبدو غريباً في حدود المألوف حتى اليوم في حياة الناس، وفي ما أنجز فعلاً من تجارب العلماء. ولكن أوليس الدور التغييري الحاسم الذي أعدّ له هذا المنقذ غريباً في حدود المألوف في حياة الناس، وما مرّت بهم من تطورات التاريخ؟ أوليس قد أنيط به تغيير العالم، وإعادة بنائه الحضاري من جديد على أساس الحق والعدل؟

فلماذا يستغرب البعض إذا اتسم التحضير لهذا الدور الكبير لبعض الظواهر الغريبة والخارجة عن المألوف كطول عمر المنقذ المنتظر؟ فإنّ غرابة هذه الظواهر وخروجها عن المألوف مهما كان شديداً، لا يفوق بحال غرابة نفس الدور العظيم الذي يجب على اليوم الموعود إنجازه. فإذا كنّا نستسيغ ذلك الدور الفريد تاريخياً على الرغم من أنّه لا يوجد دور مناظر له في تاريخ الإنسان، فلماذا لا نستسيغ ذلك العمر المديد الذي لا نجد عمراً مناظراً له في حياتنا المألوفة».

فليس من الصدفة «أن يقوم شخصان فقط في التاريخ البشري، بتفريغ الحضارة الإنسانية من محتواها الفاسد وبنائها من جديد، فيكون لكل منهما عمر مديد يزيد على الأعمار الاعتيادية أضعافاً مضاعفة؟ أحدهما مارس دوره في ماضي البشرية وهو نوح(عليه السلام) الذي نصّ القرآن الكريم على أنّه مكث في قومه ألف عام إلا خمسين سنة، وقدّر له من خلال الطوفان أن يبني العالم من جديد، والآخر يمارس دوره في مستقبل البشرية وهو المهدي(عليه السلام) الذي مكث في قومه حتى الآن أكثر من ألف عام وسيقدّر له في اليوم الموعود أن يبني العالم من جديد»<sup>(١١)</sup>.

وتتمة لما قاله السيد الشهيد(قدس سره) عن الإمكان العلمي، يمكننا أن نضيف ما جاء في دائرة معارف القرن العشرين حول حياة الإنسان وطول عمره، حيث ورد فيها: أنّه يمكن للإنسان أن يعيش نحو المائة والعشرين سنة، وقد شوهذ من الناس من عاش فوق المائة والخمسين.

(١١) محمد باقر الصدر، بحث حول المهدي: ١٩ - ٣٠، ط ٣، دارالتعارف للمطبوعات، بيروت لبنان، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

يقول علماء الحياة: إنّ جسم الإنسان مجعول على حال يستطيع معه أن يقاوم المبيدات المحيطة به نحواً من مائة وعشرين سنة، ولكن الإنسان بعدم سيره على نظام حكيم في معيشتة يساعد المبيدات الطبيعية على نفسه فيسرع بجسمه الى الإنحلال.

العمر مقدّر محدود، ولكن الأسباب التي جعلها الله للحياة والموت يجب أن ترعى وتلاحظ، بل نحن مأمورون بمراعاتها. قال تعالى: (ولا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) <sup>(١٢)</sup>. والآية تُحمل على وجوه عديدة وفيها دلالة على تحريم الإقدام على ما يخاف منه على النفس، منها: أن لا يراعي الإنسان قوانين حفظ الصحة فيأكل أكثر أو أقل ممّا يجب، ويمنع نفسه عن استنشاق الهواء الطلق، ويحبس نفسه عن الأعمال العقلية فلا يروّض جسده على الأعمال العضلية، وينام في الغرف المحرومة من ضوء الشمس ومن نعمة الهواء، ويسرف في ملاذّه التناسلية، ويسهر الى ما بعد الساعة العاشرة مساءً، ويأكل الثوم والبصل والتوابل أكلاً لمّا... الخ. وكل هذه تضعف قوّته الحيوية وتحطّ من شدة مقاومتها للعوارض فتصاب معدته وأعصابه بالإعياء، ويزداد كلاله وعجزه شيئاً فشيئاً، ثم يستسلم للقدر، فيتلاشى ولم يبلغ غير الخمسين أو الستين فيموت قبل موعده الطبيعي بنحو ستين أو سبعين سنة، فضلاً عن أنّه يعيش ما بعد الأربعين ضعيفاً مريضاً في آلام مستمرة.

يموت الإنسان بعد الخمسين أو الستين في السن الذي تمّ فيه نضج عقله، وكمل فيه جلال الكهولة، وصار أهلاً لأن يفيد الناس بعلمه وتجاربته.

يقول هؤلاء العلماء: فلو أنصف الإنسان نفسه وراعى قوانين الصحة حرفاً بحرف بلا غلوّ ولا تقصير، ورمى بكلّ جهده الى تقوية قوّته الحيوية الكامنة فيه بامدادها بما يقومها وإبعاده عنها ما يضعفها من افراط في أكل وسهر وجماع وشغل ولهو... الخ، عاش عمره الطبيعي، اللهمّ إلا إذا كان الخالق قد قضى عليه أن يموت بعلّة طارئة أو بحادث غير منتظر.

وقد ذهب الأستاذ (متشنيكوف) - أعلم علماء البكتريولوجيا وهو تلميذ العالم باستور مكتشف الميكروبات - الى أنّ جسم الإنسان خُلق معدّاً لأن يعيش ثلاثمائة سنة، فإنّ الذين يموتون في السبعين والثمانين تكون أعضاؤهم سليمة صالحة للبقاء وغاية ماكانت عندهم من مسببات الموت إصابة عضو من أعضائهم بمجهودات فوق طاقته، أو بعلّة طرأت عليه، فلو تحامى الإنسان بعقله مواقع العلل استطاع أن يحيى الى عمر طويل جداً. إذّا، فالعمر الطويل الذي يعيشه الإنسان في هذه الحالة ليس خارجاً عن المألوف، وهناك شواهد من تاريخ المسلمين على طول عمر الإنسان، أمثال الصحابي سلمان الفارسي (رضي الله عنه).

ثم قال: ولكن السبب في عدم وصول الإنسان الى ذلك العمر الطويل انه يتكون في أمعائه ودمه ميكروبات تعجل به الى الفناء، فلو اكتشف الأطباء مصلاً يقتل هذه الميكروبات أمكن للإنسان أن يعيش عمراً طويلاً. وقد رأى أن سبب وجود الميكروبات في أمعاء الإنسان هو أكل اللحم فننصح بعدم تعاطيه لتقليل عدد هذه الميكروبات، ثم أشار بوجوب مكافحتها بتعاطي اللبن الحامض.

وقال: أنه هو نفسه قد أصيب بحمى متقطعة أتلفت قلبه، ولكنه رغباً عن ذلك استطاع بتدبيره الغذائي، وإبطال أكل اللحم، وتعاطي اللبن الحامض أن يعيش مدة طويلة عاملاً بلا كلل، وهو الآن فوق السبعين ولم يشعر بانحطاط في قواه. وجاء في نفس الموسوعة: إن من الحيوانات ما يعيش نحو الأربعمئة سنة كالفيلة، والبعجة تعيش ثلاثمئة سنة<sup>(١٣)</sup>.

ومن العوامل التي تؤثر في قصر عمر الإنسان الشيخوخة بشكل عام، والشيخوخة المبكرة، وكان العالم الروسي (متشنيكوف) يعتقد أن الشيخوخة المبكرة تنشأ من بعض الميكروبات السامة التي تسبب الالتهابات المزمنة في القولون، كما أنه كان يعتقد بأننا نستطيع مكافحة هذه الميكروبات الخطرة بواسطة الميكروبات المفيدة الموجودة في اللبن الرائب.

إن قلة الطعام عندما يكون ملائماً أفضل بكثير من الإفراط في تناول الغذاء غير الملائم، ولكن للأسف فإن أغلب الناس، إما أنهم يفرطون في تناول الطعام أو يتناولون الأطعمة غير المناسبة والمضرة، ولذلك نجدهم غالباً ما يصابون بالأمراض<sup>(١٤)</sup>.

كما أنه، وبسبب التقدم العلمي والتكنولوجي المعاصر، والتطور الطبّي والعلاجي، وتوفير وسائل حياة أفضل للبشرية جمعاء، وبشكل مكثف لدى الدول المتطورة، أمكن زيادة معدل عمر الإنسان بحيث أدّى الى انخفاض معدلات الوفيات في البلدان المتقدمة، وهذا الأمر أدّى الى تزايد أعداد كبار السن من الرجال والنساء، وهو يؤكد أن إطالة عمر الإنسان أمرٌ ممكنٌ من الناحية العلمية والطبية، بل أصبح أمراً واقعياً.

ولعلّ الثورة العلمية المدهشة في مجال الطب هي اكتشاف خارطة الجينات البشرية والاعلان عنها في بداية الألفية الثالثة، الأمر الذي جعل العلماء يضعون أصابعهم على الجينات المسببة للشيخوخة، وجينات الأمراض الخطرة الفتاكة بحياة البشرية، والتي تعتبر أحد العوامل المؤدية للوفاة، فمثلاً تمّ اكتشاف البروتينة المسؤولة عن تكاثر الخلايا

(١٣) دائرة معارف القرن العشرين: ٦٦٠/٣ - ٦٦١.

(١٤) صحيفة الوفاق، تصدر عن وكالة الجمهورية الإسلامية للأنباء، طهران العدد (١٠٥١) بتاريخ الخميس ١٥ آذار ٢٠٠١ - ٩ ذو الحجة ١٤٢١ هـ ص ٨.

السرطانية، وقد سمّيت بـ «دبليواران»، ولذا فإنّ وقف عمل هذه الجزيئة يكفي لمنع الورم السرطاني من الانتشار، ووقاية المصابين من موت محقق. وقد أكد (فيفيد سانكلير) و(حاييم كوهين) من كلية الطب في جامعة هارفرد الأمريكية في مقالة نشرتها مجلة (بروسيد ينغزاوف ذا ناشيونال أكاديمي أوف ساينس): إنّ الأشخاص المصابين بأعراض مرض «ورنر» الشبخوخة المبكرة يولدون محرومين من هذه الجينة التي تتحكم بانتاج بروتينة (دبليواران) الأمر الذي يجعلهم لا يصابون بالأمراض السرطانية الأكثر شيوعاً<sup>(١٥)</sup>.

إنّ التطور العلمي والطبي ليؤكدان وباستمرار امكانية اطالة عمر الإنسان، سواء من خلال القضاء على الأمراض الفتاكة بالإنسان، أو من خلال ايقاف شيخوخة الخلايا البشرية التي تسبب الهرم والكبر لدى الإنسان، ثم الموت. فإذا كان اطالة عمر الإنسان في المدى المنظور أصبح أمراً واقعياً، خصوصاً بعد اكتشاف خارطة الجينات البشرية، فإنّ المستقبل حافل بالانجازات العلمية المذهلة على هذا الصعيد، ممّا يدعم فكرة وحقيقة طول عمر الإمام المهدي المسدّد من قبل السماء والمؤيد بقدره الله المطلقة.

### ضرورة العمر الطويل

ما مضى كان بحثاً عن امكانية العمر الطويل من الناحية العقائدية والعلمية والعملية والفلسفية، وهو من قبيل بيان ارتفاع المانع، والآن نريد أن ندرس المسألة من زاوية وجود المقتضي لهذا العمر ليكون بحثنا لها متكاملأ.

فنقول : لما كان الإمام المهدي(عليه السلام) قد أنيط به مهمة أكبر ; مهمة تغييرية في التاريخ الإنساني على الاطلاق وهي تتمثل بتفريغ الحضارة الإنسانية من محتواها الفاسد، وإعادة البناء الحضاري للعالم على أساس الحق والعدل.

«فإنّ التحضير لهذه المهمة وهذا الدور الكبير يتّسم بظواهر غير مألوفة تتسجم بالضرورة مع عظم الدور الذي سيقوم به الإمام، وهو دور فريد في التاريخ لم يتحقق بالمستوى الذي سوف يحققه الإمام حتى على أيدي الأنبياء(عليهم السلام)، وليس صنع مجتمع التوحيد بالأمر الهين، لأنه ثورة على الجاهلية بكل جذورها، وتطهير للمحتوى النفسي والفكري للمجتمع من جذور الاستغلال ومشاعره ودوافعه»<sup>(١٦)</sup>.

من هنا فإنّ لهذا التغيير ضرورات، فكما أنّ النبوة والإمامة والعصمة من ضرورات التغيير الرباني، فإنّ غيبة الإمام المهدي(عج) واطالة عمره، وظهوره وهو في سن الشباب،

(١٥) صحيفة الوفاق، العدد (١٠٤٨)، بتاريخ الأحد ١١ / ٣ / ٢٠٠١ م، ١٥ ذو الحجة / ١٤٢١ هـ، ص ٥.

(١٦) الإسلام يقود الحياة، محمد باقر الصدر : ١٦٣.

تعدُّ من ضرورات التعبير الربّاني للبشرية في عهدها الأخير، وهذه الأمور مجتمعة تقع في نطاق المعجزة التي تفسّر هذه الضرورات في جميع تاريخ الأنبياء، أي في جميع مراحل التعبير الكبرى. وبما أنّ المعجز فيه خرق للنواميس الطبيعية، فلا يمكن أن يقع من أحد إلا بعناية من الله تعالى<sup>(١٧)</sup>، وأنّ التصديق بالمعجزة، هو تصديق وإيمان بالغيب، الذي هو شرط الإيمان بالله سبحانه وتعالى، قال تعالى: (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ\* أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)<sup>(١٨)</sup>.

وعلى ذلك، فإنّ إطالة عمر الإمام المهدي (عليه السلام) إذا لم يمكن تصورها علمياً، وأنّ قانون الشيخوخة والهرم قانون صارم لا يمكن للبشرية اليوم ولا على خطها الطويل أن تتغلب عليه وتغيّر من ظروفه وشروطه، فماذا يعني ذلك؟

لقد أجاب الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره) بقوله: «أنّه يعني أنّ إطالة عمر الإنسان - كنوح أو المهدي - قروناً متعددة، هي على خلاف القوانين الطبيعية التي أثبتتها العلم بوسائل التجربة والاستقراء الحديثة، وبذلك تصبح هذه الحالة معجزة عطلت قانوناً طبيعياً في حالة معينة للحفاظ على حياة الشخص الذي أنيط به الحفاظ على رسالة السماء، وليس هذه المعجزة فريدة من نوعها، أو غريبة على عقيدة المسلم المستمدة من نصّ القرآن والسنة، فليس قانون الشيخوخة والهرم أشد صرامة من قانون انتقال الحرارة من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقل حرارة حتى يتساويان، وقد عطل هذا القانون لحماية حياة إبراهيم (عليه السلام) حين كان الأسلوب الوحيد للحفاظ عليه تعطيل ذلك القانون، فليل للنار حين ألقى فيها إبراهيم: (قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ)<sup>(١٩)</sup>. فخرج منها كما دخل سليمان لم يصبه أذى، إلى كثير من القوانين الطبيعية التي عطلت لحماية أشخاص من الأنبياء وحجج الله على الأرض، ففلق البحر لموسى، وشبهه للرومان أنّهم قبضوا على عيسى، ولم يكونوا قد قبضوا عليه، وخرج النبي محمد (صلى الله عليه وآله) من داره وهي محفوفة بحشود قريش التي ظلت ساعات تتربص به لتهجم عليه، فستره الله تعالى عن عيونهم وهو يمشي بينهم.

كلّ هذه الحالات تمثل قوانين طبيعية عطلت لحماية شخص، كانت الحكمة الربّانية تقتضي الحفاظ على حياته، فليكن قانون الشيخوخة والهرم من تلك القوانين.

وقد يمكن أن نخرج من ذلك بمفهوم عام: وهو أنّه كلّما توقف الحفاظ على حياة حجة الله في الأرض على تعطيل قانون طبيعي، وكانت إدامة حياة ذلك الشخص ضرورية لإنجاز مهمته التي أعدّ لها، تدخلت العناية الربّانية في تعطيل ذلك القانون لإنجاز ذلك، وعلى

(١٧) البيان في تفسير القرآن: ٤٥، السيد أبو القاسم الخوئي، المطبعة العلمية قم، ١٩٧٤م.

(١٨) البقرة: ٣ - ٥.

(١٩) الأنبياء: ٦٩.

العكس إذا كان الشخص قد انتهت مهمته التي أعد لها ربّانياً سيلقى حتفه ويموت أو يستشهد وفقاً لما تقرره القوانين الطبيعية. ونواجه عادة بمناسبة هذا المفهوم العام السؤال التالي: كيف يمكن أن يتعطل القانون، وكيف تنفصم العلاقة الضرورية التي تقوم بين الظواهر الطبيعية؟ وهل هذه إلا مناقضة للعلم الذي اكتشف ذلك القانون الطبيعي، وحدد هذه العلاقة الضرورية على أسس تجريبية واستقرائية؟

والجواب: إنّ العلم نفسه قد أجاب على هذا السؤال بالتنازل عن فكرة الضرورة في القانون الطبيعي، وتوضيح ذلك: إنّ القوانين الطبيعية يكتشفها العلم على أساس التجربة والملاحظة المنتظمة، فحين يطرد وقوع ظاهرة طبيعية عقيب ظاهرة أخرى، يستدل بهذا الاطراد على قانون طبيعيّ، وهو أنّه كلما وجدت الظاهرة الأولى وجدت الظاهرة الثانية عقيبها، غير أنّ العلم لا يفترض في هذا القانون الطبيعي علاقة ضرورية بين الظاهرتين نابعة من صميم هذه الظاهرة ذاتها، وصميم تلك ذاتها، لأنّ الضرورة حالة غيبية، لا يمكن للتجربة ووسائل البحث الاستقرائي والعلمي إثباتها، ولهذا فإنّ منطق العلم الحديث، يؤكد أنّ القانون الطبيعي - كما يعرفه العلم - لا يتحدث عن علاقة ضرورية بل عن اقتران مستمر بين ظاهرتين، فإذا جاءت المعجزة وفصلت إحدى الظاهرتين عن الأخرى في قانون طبيعي لم يكن ذلك خصماً لعلاقة ضرورية بين الظاهرتين.

والحقيقة أنّ المعجزة بمفهومها الديني، قد أصبحت في ضوء المنطق العلمي الحديث مفهومة بدرجة أكبر ممّا كانت عليه في ظلّ وجهة النظر الكلاسيكية الى علاقات السببية، فقد كانت وجهة النظر القديمة، تفترض أنّ كل ظاهرتين اطراد اقتران إحداها بالأخرى، فالعلاقة بينهما علاقة ضرورة، والضرورة تعني أنّ من المستحيل أن تنفصل إحدى الظاهرتين عن الأخرى، ولكن هذه العلاقة تحولت في منطق العلم الحديث الى قانون الاقتران أو التتابع المطرد بين الظاهرتين دون افتراض تلك الضرورة الغيبية.

وبهذا تصبح المعجزة حالة استثنائية لهذا الاطراد في الاقتران أو التتابع دون أن تصطدم بضرورة أو تؤدي الى استحالة»<sup>(٢٠)</sup>.

وعلى ذلك فإنّه يمكن تفسير طول عمر الإمام المهدي(عج) ومن خلال ما بيّناه من تعطيل للقانون الطبيعيّ، ودون افتراض فكرة الضرورة بأنّه: حالة استثنائية تقتضيها ضرورات التغيير الذي أعدّ له مشروع ذلك اليوم الموعود، والذي فيه يُطاح بأصراحة الظلم والطغيان والانحراف ليقام على أنقاضها كيان الدولة الإسلامية العالمية التي تملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

فالتحضير لهذا اليوم الفذ يجب أن يكون بمستوى إنجازهِ العظيم، فإذا كانت ثمة تجارب نبويّة سابقة ومحدودة قد حضّر لها من قبل السماء، فكانت بعض فصول هذا التحضير، هي نوع من الخرق لنواميس الطبيعة والتي حصلت على نحو الإعجاز - وقد سرد القرآن الكريم الكثير من قصصها - فلماذا لا يكون التحضير لذلك اليوم الموعود مستلزماً لهذا النوع من الإعجاز في إطالة عمر الإمام المهدي (عليه السلام) ! خصوصاً وأنّ وجود الإمام حيّاً طول فترة الغيبة الكبرى يُعد أحد أبرز ضرورات اليوم الموعود لما عاصره وسوف يعاصره من أحداث عالمية وكونية ترسم له عياناً الخط البياني لظهور وزوال الحضارات، وتجعله يرقب عن كثب مسيرة الإنسانية في تكاملها، أو انحطاطها سواء بسواء، الأمر الذي يجعل الإمام (عليه السلام) عند ظهوره إنساناً - وإن كان معصوماً - ينطلق بعملية إعادة البشرية الى طريق الهداية الإلهية، من واقع التجربة الإنسانية التي عاصرها بجميع مراحلها وهي ترسّف في مستنقع الظلم والطغيان، فينقلها الى واقع عدالة الإسلام في تجربة التطبيق الأخير، التي تملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

## المرحلة الثانية

### إثبات تحقق العمر الطويل في الإمام المهدي (عليه السلام)

إنّضح أنّ مسألة العمر الطويل تنسجم تمام الانسجام عقائدياً مع القرآن الكريم، وواقعياً مع معطيات العلم والفلسفة. فتمت بذلك المرحلة الأولى من البحث.

بقي علينا أن نثبت ذلك العمر الطويل الممتد بامتداد الزمن الى نهايته قد تحقق في الإمام المهدي (عليه السلام) ، وأنّه يحظى بذلك العمر الاستثنائي. وهذا ما يتاح لنا إثباته بطريقتين:

١ - طريق عقائدي.

٢ - طريق تاريخي.

أما الطريق العقائدي: فهو أنّ مفهوم المهدوية عند أهل البيت (عليهم السلام) ليس مجرد فكرة مستقبلية، كما هو الحال عند أهل السنة، بل إنّه من حيث الأساس مفهوم عقائديّ مندرج في صميم عقيدة الإمامة، فإنّ الإمام المهدي في مفهوم أهل البيت (عليهم السلام) هو الإمام الثاني عشر من سلسلة الأئمة المعصومين الاثني عشر المنصوبين من قبل الله سبحانه وتعالى لهداية البشرية، وقد حدّد عددهم رسول الله بشكل دقيق - ومع ثبوت هذه العقيدة - طبقاً لأدلة من الكتاب والسنة يؤتى بها في محلّها، فمن اللوازم الطبيعيّة المترتبة عليها أن تمتد حياة الإمام الثاني عشر منهم بامتداد الزمن حتى يتاح لهذه السلسلة أن تستوعب التاريخ منذ وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) الى آخر يوم من حياة البشرية على الأرض، هذا التحديد لعدد الأئمة بهذا العدد الخاص له دلالة واضحة وصريحة على أنّ الإمام المعصوم الثاني عشر الذي ولد سنة (٢٥٥ هـ) لا بدّ أن تستمر حياته وممارسته لمهامّه حتى يتم تحقيق جميعها على يديه.

وحديث «الخلفاء بعدي اثنا عشر كلهم من قريش» متواتر عند المسلمين، وقد روته صحاح ومسانيد أهل السنة بطرق تعدده<sup>(٢١)</sup>. فضلاً عن مصادر الإمامية .

وهذا العدد لا ينطبق على سلسلة الخلفاء

الراشدين ولا الأمويين ولا العباسيين، وإنّما يجد مصداقه

التاريخي الوحيد في سلسلة أئمة أهل البيت الاثني عشر (عليهم السلام) .

فإنّ هذا الحديث الذي يعتبر في مقام الإخبار عن

(٢١) صحيح البخاري: ١/١٠١، كتاب الأحكام باب الاستخلاف، وصحيح مسلم: ٤/٦ كتاب الإمارة باب الاستخلاف، مسند أحمد:

المستقبل حول الإمامة الشرعية والخلافة الإلهية التي تتولى مهمة قيادة التجربة النبوية بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) وغيابه عنها يتنافى مع

الواقع التاريخي للخلافة بمعنى تولي السلطة وممارسة الحكم، لأنّ الخلافة الراشدة أقل من العدد المذكور، والحكام الأمويون أكثر منه، والعباسيون أكثر منه بكثير، ولذا اضطربت مدرسة الخلفاء في تفسيره اضطراباً شديداً، فلا يبقى إلا أن يكون الحديث بصدد بيان الإمامة الشرعية والخلافة الربانية التي أنيط بها حمل المسؤولية الإسلامية الشرعية لحماية الرسالة وقيادة الأمة بعد النبي (صلى الله عليه وآله)، وإن لم تتوفر لها فرص الحكم. وهذا هو جوهر عقيدة الإمامة عند أهل البيت (عليهم السلام)، ومقتضى هذه العقيدة أن تمتد حياة الإمام المعصوم الثاني عشر وهو الإمام المهدي (عليه السلام) حتى يحقق كل أهداف الرسالة، ويكون دين الإسلام عالياً على جميع الأديان بالحجة البالغة، والغلبة وإن كرهه الأعداء ذلك. وكما قال تعالى: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كرهه المشركون) (٢٢)، ويؤيد ذلك الأخبار التي ذكرت أخبار الإمام المهدي (عليه السلام) قبل ولادته ووصفته بالغيبة الطويلة التي يشكك فيه لأجلها كثير من المؤمنين، والتي أورد بعض أهل السنة طرفاً منها، كما في ينابيع المودة وغيره، أن علياً (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): المهدي من ولدي تكون له غيبة إذا ظهر يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً» (٢٣)، وعن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن علياً وصي ومن ولده القائم المنتظر المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً إن الثابتين على القول بإمامته في زمان غيبته لأعز من الكبريت الأحمر» (٢٤).

فإن وصف الغيبة يتناسب مع حياة خفية عن الأنظار تمتد فترة طويلة واستثنائية. بل في جملة من نصوص قد جاء ذكر غيبتين له: أحدهما قصيرة، والأخرى طويلة، ولا سيما النصوص التي ذكرت طول عمره تشبيهاً بنوح وغيره من الأنبياء.

وأما الطريق الثاني: فهو الدليل التاريخي، وحاصله: إنّ الإمام المهدي (عليه السلام) حقيقة تاريخية مشهودة من حيث المولد واستمرار الحياة، فهناك شهادات تاريخية بولادته وشهادات تاريخية تتحدث عن اتصالات له مع أناس كثيرين حصلت في أزمان متفاوتة وقرون متتالية، فضلاً عن التوقعات التي صدرت عنه (عليه السلام) في زمان الغيبة الصغرى والسفراء الأربعة الذين أنابوا عنه في تلك الفترة وذكروا أخباراً ترتبط بمستقبل حياة الإمام وغيبته الكبرى وظهوره بعد غيبة طويلة.

(٢٢) التوبة: ٣٣.

(٢٣) ينابيع المودة: ٤٤٧.

(٢٤) ينابيع المودة: ٤٤٨.

وإليك تفاصيل هذا الدليل التاريخي:

لقد ولد الإمام المهدي (عليه السلام) في يوم النصف من شهر شعبان<sup>(٢٥)</sup> في وقت الفجر من سنة (٢٥٥ هـ)، ولم يكن في منزل أبيه الإمام العسكري (عليه السلام) ساعة ولادته غير عمته حكيمة التي رأت المولود الجديد.

كانت ولادة الإمام بعد وفاة جدّه الإمام الهادي (عليه السلام) بحوالي عام، وبعد مجيء الخليفة العباسي المهدي إلى الحكم بأقل من شهر، وعاصر الإمام المهدي (عليه السلام) حياة أبيه خمس سنوات فقط، حيث توفي أبوه عام (٢٦٠ هـ)، وكان الطابع العام الذي ميّز فترة الحمل والولادة، وما بعد الولادة هو الاخفاء والحذر الشديد من قبل الإمام العسكري خشية معرفة السلطة العباسية الغاشمة لأمر الإمام المهدي الذي كانت تترصّده متوجسة منه خيفة.

وتصل البشرى لأصحاب الإمام العسكري فيتواصلون بكتمان أمر المولود الجديد، وفقاً لما كانوا يعلمونه من أمر السلطة العباسية. فيما كرّس الإمام العسكري اهتمامه باتجاه إثبات وجود الإمام المهدي (عليه السلام) تجاه التاريخ وتجاه الأمة الإسلامية وخاصة الشيعة، بحيث يحصل التواتر في الإخبار عن وجوده ورؤيته، ولوحظ

قول من يزعم عدم وجوده، أو أنّه ليس للإمام العسكري (عليه السلام) ولد هو المهدي<sup>(٢٦)</sup>.

ولهذا حرص الإمام العسكري (عليه السلام) على اختيار من كانت له صلابة في الإيمان وعمق في الاخلاص من مواليه، بالإضافة إلى وثاقته لدى القواعد الشعبية المرتبطة بالإمام، وقد كانت طريقة الإخبار هي الطريقة الوحيدة التي تؤكّد وجود الإمام المهدي (عليه السلام)، إخبار الإمام العسكري (عليه السلام)، الأصحاب والموالين، ليخبر هؤلاء بدورهم القواعد الشيعية عن إمامهم المخفي.

ولعلّ أوسع اعلان قام به الإمام العسكري (عليه السلام) بين أصحابه عن ولادة ابنه وإمامته من بعده، ووجوب طاعته عليهم، هو أنّه (عليه السلام) قبل وفاته بأيام، وقد كان مجلسه غاصّاً بأربعين من أصحابه ومخلصيه منهم: محمد بن عثمان العمري، ومعاوية بن حكيم، ومحمد بن أيوب بن نوح، وقد عرض عليهم الإمام ابنه المهدي (عليه السلام) وقال لهم: «هذا إمامكم بعدي وخليفتي عليكم، اطيعوه ولا تتفرّقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم» وقد أكّد الإمام بأنهم لا يرونه بعد يومهم هذا». وهذا هو أوسع اعلان رسمي كبير عن الإمام المهدي<sup>(٢٧)</sup>.

(٢٥) وفيات الأعيان: ٣/٣١٦، الإرشاد: ٣٢٦، إعلام الوري: ٣٩٣، نور الأبصار: ١٧٠، تاريخ الغيبة الصغرى: ٢٦١.

(٢٦) تاريخ الغيبة الصغرى، الشهيد السيد محمد الصدر: ٢٧٠.

(٢٧) تاريخ الغيبة الصغرى: ١٨٢ - ٢٨١ نقلاً عن اكمال الدين.

أما على الصعيد الفردي، فقد كان الإمام العسكري يعرض ولده على أفراد من الخواص يزورونه منهم: عمرو الأهوازي، ويقول له الإمام: «هذا صاحبكم»<sup>(٢٨)</sup>. وممن عرضه الإمام العسكري (عليه السلام) على أصحابه: أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري وهو من خاصة الإمام وثقاته، حيث قصد الإمام لزيارته يريد أن يسأله عن الخلف من بعده. فيدخل على الإمام، فيقول له الإمام مبتدئاً: «يا أحمد بن إسحاق، إن الله تبارك وتعالى لا يُخلي الأرض منذ خلق آدم (عليه السلام) ويجليها إلى أن تقوم الساعة من حجة على خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الأرض، وبه ينزل الغيث، وبه تخرج بركات الأرض. قال: فقلت له: يا ابن رسول الله! فمن الإمام والخليفة من بعدك؟ فينهض الإمام (عليه السلام) مسرعاً ويدخل إحدى الغرف، ثم يخرج وعلى عاتقه غلام كأن وجهه القمر ليلة البدر، من أبناء ثلاث سنين، ثم يقول: «يا أحمد بن إسحاق لولا كرامتك على الله عز وجل وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا. أنه سمي رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. يا أحمد! مثله في هذه الأمة مثل الخضر (عليه السلام) ومثله مثل ذي القرنين، والله ليغيبن غيبة لا ينجو فيها من الهلكة إلا من ثبتته الله عز وجل على القول بإمامته ووفقه الله للدعاء بتعجيل فرجه» قال أحمد بن إسحاق: فقلت: يا مولاي! فهل من علامة يطمئن بها قلبي، فنطق الغلام (عليه السلام) بلسان عربي فصيح: «أنا بقية الله في أرضه والمنتقم من أعدائه، ولا تطلب أثراً بعد عين، يا أحمد بن إسحاق».

قال أحمد بن إسحاق: فخرجت مسروراً، فلما كان الغد عدت إليه، فقلت له: يا ابن رسول الله! لقد عظم سروري بما مننت عليّ، فما السنة الجارية من الخضر وذي القرنين. قال: «إي وربّي حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به، فلا يبقى إلا من أخذ الله عز وجل عهده بولايتنا وكتب في قلبه الإيمان وأيده بروح منه. يا أحمد بن إسحاق هذا أمر من أمر الله وسر من سرّ الله وغيب من غيب الله، فخذ ما آتيتك واكتمه وكن من الشاكرين، تكن معنا في عليين»<sup>(٢٩)</sup>.

### السّفراء الأربعة والنيابة الخاصّة

وهم: الشيخ الموثوق عثمان بن سعيد العمري، والشيخ الجليل محمّد بن عثمان بن سعيد العمري، والشيخ الجليل أبو القاسم الحسين بن روح ابن أبي بحر النوبختي، والشيخ الجليل أبو الحسن علي بن محمد السمری. هؤلاء السفراء كانوا هم الوكلاء الخاصّين للإمام المهدي (عليه السلام)، كل واحد منهم يمارس سفارته الخاصّة في حياته، حتى إذا مات خلفه الثاني، ولم تكن بين السفراء ثمة قرابة رحمية إلا بين السفيرين الأول والثاني، وهم من

(٢٨) انظر الإرشاد: ٣٣٩، نقلاً عن تاريخ الغيبة الصغرى: ٢٨٣.

(٢٩) تاريخ الغيبة الصغرى، الشهيد السيد محمد الصدر: ٢٨٧ - ٢٨٨.

أجيال مختلفة استوعبت سفارتهم وقت الغيبة الصغرى بأجمعها وهي تسعة وستون عاماً وستة أشهر وخمسة عشر يوماً، شغل منها السفير الأول حوالي خمسة أعوام، وشغل السفير الثاني حوالي الأربعين عاماً، وشغل السفير الثالث واحد وعشرين عاماً، وشغل السفير الرابع ثلاثة أعوام. وكانوا معروفين بثقتهم بين الناس، ممّا يجعل كذب أحدهم فيما يدعيه من السفارة أمراً أقرب الى المحال .

أما احتمال تواطؤهم على الكذب في قضية واحدة فهو المحال بعينه، فكيف يتسنى لأربعة أشخاص مختلفين في الأعمار، ولا يكاد يجمع بينهم جامع سوى الإسلام والإيمان بولاية أهل البيت أن يجمعوا على كذبة واحدة، وطيلة فترة زمنية تمتدّ حوالي سبعة عقود، ولا ينكشف أمرهم لدى الناس. إنّ افتراض شيء من هذا القبيل يصطدم بحقيقة التاريخ التي أكدت صدقهم وقبول الناس لهم واعتمادهم عليهم فيما ينقلونه عن الإمام.

#### الخط والتوقيعات

ثمّة شيء مهم آخر دلّ على صحة سفارة السفراء الأربعة عن الإمام المهدي (عليه السلام) دلالة قطعية، ذلك هو خط وتوقيع الإمام المهدي، حيث كان خطأ واحداً وتوقيعاً واحداً لا يختلف باختلاف أشخاص السفراء واختلاف خطوطهم، وكان الناس يعرفون ذلك ويتتبعونه، فقد توخى الإمام المهدي (عليه السلام) أن يصدر بياناته بنفس الخط الذي كانت تصدر به بيانات أبيه (عليه السلام)، ولمّا كان خط الإمام العسكري (عليه السلام) معروفاً لدى جملة من قواعده الشعبية، وخاصة من كان من خاصّتهم ومبرزيهم. وقد طلب أحدهم ذات مرة من الإمام العسكري (عليه السلام) عند مقابلته أن يكتب شيئاً في ورقة، حتى يطابقه مع التوقيعات الصادرة منه لأجل أن يأمن من التزوير، فقد استعمل الإمام المهدي (عليه السلام) نفس الخط طيلة مدة الغيبة الصغرى، إذ كانت الأجوبة تخرج منه بالخط الذي يخرج في حياة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)<sup>(٣٠)</sup>. وبذلك تكون شهادة الخط أوسع وأدلى من شهادة السفير، بكون هذا البيان صادراً عن الإمام المهدي (عليه السلام)، فإذا انضمت الشهادتان وتصادقتا على ذلك، كان فيه الكفاية في الدلالة على الغيبة الصغرى ووجود السفراء الأربعة<sup>(٣١)</sup>.

وعلى ذلك فقد كانت التوقيعات والبيانات تخرج على يد السفير الأوّل بالخط الذي كانت تخرج على يده أو على يد غيره من الوكلاء زمن الإمام العسكري عنه (عليه السلام)، وحين مضى السفير الأوّل الى ربّه عزّ وجلّ واضطلع الثاني بمهامه، كانت الكتب تخرج عنه

(٣٠) الغيبة، للشيخ الطوسي: ٢١٦، نقلاً عن تاريخ الغيبة الصغرى: ٤٣١.

(٣١) تاريخ الغيبة الصغرى، الشهيد السيد محمد الصدر: ٤٣١.

بنفس الخط الذي كانت تخرج أيام سلفه، الى حد أصبح هذا معروفاً واضحاً، فيعبر ويقال: إن هذا التوقيع بخط مولانا صاحب الدار<sup>(٣٢)</sup>، يعني الإمام المهدي(عليه السلام)<sup>(٣٣)</sup>.

ولأن - وكما يقول السيد محمد باقر الصدر(رضي الله عنه) - «بإمكان أن نقدّر الموقف في ضوء ما تقدم لكي ندرك بوضوح أن المهدي(عليه السلام) حقيقة تاريخية عاشتها أمة من الناس وعبر عنها السفراء والنواب طيلة سبعين عاماً تقريباً من خلال تعاملهم مع الآخرين، ولم يلحظ عليهم أحد كل هذه المدة تلاعباً في الكلام أو تحاليفاً في التصرف أو تهافتاً في النقل، فهل يتصور أحد أن بإمكان أكلوبة أن تعيش سبعين عاماً، ويمارسها أربعة على سبيل الترتيب كلهم يتفقون عليها ويظنون يتعاملون على أساسها، وكأنها قضية يعيشونها ويرونها بأعينهم دون أن يبدر منهم أي شيء يثير الشك، ودون أن يكون بين الأربعة علاقة خاصة متميزة تتيح لهم نحواً من التواطؤ، ويكسبون من خلال ما يتصف به سلوكهم من واقعية ثقة الجميع وإيمانهم بواقعية القضية التي يدعون أنهم يحسونها ويعيشون معها؟!!

لقد قيل قديماً: إن حبل الكذب قصير، ومنطق الحياة يثبت أيضاً، أن من المستحيل عملياً بحساب الاحتمالات أن تعيش أكلوبة بهذا الشكل وكل هذه المدة، وضمن كل تلك العلاقات والأخذ والعطاء، ثم تكسب ثقة جميع من حولها. وهكذا نعرف أن ظاهرة الغيبة الصغرى يمكن أن تعتبر بمثابة تجربة علمية أخرى لإثبات ما لها من واقع موضوعي والتسليم بالإمام القائد وولادته وحياته وغيبته وإعلانه العام عن الغيبة الكبرى التي استتر بموجبها عن المسرح ولم يكشف نفسه لأحد»<sup>(٣٤)</sup>.

وهكذا ومن خلال المعطيات التاريخية حول الإمام المهدي(عليه السلام) يثبت أن الإمام المهدي حقيقة موضوعية تبتدئ بولادته وشهود الدالين عليه ورؤيتهم له وإخبارهم عنه، وتستمر من خلال مرحلة الغيبة الصغرى ووكلائه الأربعة الموثوقين، ومن خلال توقيعاته المعروفة بخط يده وما كانت تحمل من تعليمات وإرشادات وصولاً الى الغيبة الكبرى التي أعلن عنها سفيره الرابع وتتأكد بانقطاع السفارة الخاصة عن الإمام، كما تتأكد بالمشاهدات العينية التي حصلت في قرون عديدة له من قبل شخصيات لامعة ومعروفة وافراد عاديين.

## الخلاصة

(٣٢) انظر: الغيبة: ٢٢٦، نقلاً عن تاريخ الغيبة الصغرى: ٤٣٣.

(٣٣) تاريخ الغيبة الصغرى: ٤٣٣.

(٣٤) بحث حول المهدي، السيد محمد باقر الصدر: ٧٤ - ٧٥.

يُعد الإشكال الذي يُثار حول طول عمر الإمام المهدي (عليه السلام)، من أكثر الإشكالات المتداولة في هذا المجال، وذلك إما انطلاقاً من فكرة محدودية عمر الإنسان، أو انطلاقاً من عدم إدراك ضرورات الغيبة وضرورات الظهور، وقياس ذلك على ما هو كائن ومحسوس لا على ما سوف يكون وما ينبغي أن يكون، ولهذا شرعت الدراسة باستعراض الصور والوقائع المشابهة التي حصلت في غابر البشرية، وقد أخبر بها القرآن الكريم ودعا المؤمنين الى الإيمان بها من أمثال إطالة عمر النبي نوح (عليه السلام)، أو أمثال المعجزات المختلفة التي حصلت لجميع الأنبياء (عليهم السلام)، فكان هذا الاستعراض دليلاً ذا شعب متعددة، منها: إنّ عمليات التغيير التي قادها الأنبياء تؤيد بالمعجزات، وأنّ المعجزة تعدّ إحدى ضرورات التغيير الذي ترعاه السماء، وأنّ الإيمان بها بالنسبة لمن لم يعاصرها هو إيمان بالغيب، وهو أحد أبرز علامات الإيمان والتدين. وعلى ذلك فإنّ الإيمان بالإمام المهدي يعد من لوازم الإيمان بالغيب، وأحد أبرز عناصر الشخصية الإيمانية، وأنه سوف يؤيد بالمعجزة كما أيد قادة التغيير السابقين من الأنبياء والمرسلين، ولعلّ أبرز مصاديقها هي طول عمره الشريف، وأنّ هذه المعجزة تتناسب طردياً مع حجم المهمة التغييرية المناطة بالإمام المهدي، وهي مهمة كبيرة بحجم مشروعها التغييري ومساحتها الجغرافية التي تستوعب الأرض كلها والناس كلهم.

وقد خاضت الدراسة موضوع بحثها في مرحلتين:

#### ١ - مرحلة اثبات امكان العمر الطويل.

واستندت الدراسة عليه بمجموعة من الأدلة هي أدلة الإمكان عملياً وعلمياً ومنطقياً، وقد تم إثبات إمكان طول العمر من تلك النواحي الثلاث.

ثم قدمت الدراسة مجموعة من الأدلة العلمية المعاصرة التي تؤيد بشكل مباشر أو غير مباشر إمكانية طول عمر الإنسان، فبحجم المتوفر من تلك الأدلة استندت الدراسة على إمكانية طول العمر. كما توفرت هذه الدراسة على بيان أنّ العمر الطويل ليس أمراً ممكناً بل هو ضروري أيضاً لمن يطلب منه مهمة كالمهمة التي تطلب من الإمام المهدي (عليه السلام).

كما استعرضت دليل المعجزة على طول عمر الإمام المهدي، وأكدت على التناسب الطردي بين حجم المهمة المناطة بالإمام المهدي وحجم التحضير لهذه المهمة.

٢ - مرحلة اثبات تحقق العمر الطويل في الإمام المهدي وذلك عبر استعراض المعطيات العقائدية والتاريخية المتعلقة بوجود الإمام المهدي بدءاً من مولده الشريف، ورؤية الأصحاب

والتقاة له وإخبارهم عنه، ومروراً بمعطيات الغيبة الصغرى ووجود السفراء الأربعة الذين تناوبوا في السفارة بينه(عليه السلام) وبين قواعده الشيعية، وحملوا لهم توقيعه وبخط يده الشريفة، وعلى طول فترة تمتد حوالي (٧٠) عاماً الى أن أعلن السفير الرابع بدء مرحلة الغيبة الكبرى وانتهاء عمل السفارة الخاصة. واستشهدنا أخيراً على استمرار حياته في الغيبة الكبرى بالآخبارات المتتالية المتحدثة عن لقاء عدد كبير من المؤمنين والعلماء به.

لقد كانت هذه المعطيات دليلاً قطعياً على وجود الإمام المهدي(عليه السلام) وصحة الغيبتين الصغرى والكبرى، فهو حقيقة أثبتها التاريخ وقامت الحجج على صحتها.

## الفهرس

- المقدمة ... ٩
- فذلكة البحث ... ١١
- المرحلة الأولى: امكانية امتداد عمر الإنسان بنحو خارق للعادة ... ١٢
- ضرورة العمر الطويل ... ٢٩
- المرحلة الثانية: إثبات تحقق العمر الطويل في الإمام المهدي(عليه السلام) ... ٣٦
- السّفرء الأربعة والنبابة الخاصة ... ٤٣
- الخط والتوقيعات ... ٤٤
- الخلاصة ... ٤٨
- الفهرس ... ٥١